٢- البصائر عند حصول الفتن

١- أحكام الفتن

● **أصل الفتن:**

الفتن بأنواعها من سنن الله في خلقه ، يبتلي الله بها عباده ليتبين المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

ولما كانت الفتن واقعة لا محالة ، فلابد من التبصر بها ، والاستعداد لها ، والحذر من غوائلها ، ومعرفة سبل النجاة منها : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٢٠].

والفتن كثيرة متنوعة ، وقد أقبلت يعلو بعضها بعضاً كالسحب المتراكمة ، تزحف عمياء صمَّاء كقِطع الليل المظلم ، وتهيج كالأمواج المتلاطمة ، تطيش فيها العقول ، وتموت فيها القلوب ، شديدة لا ترحم أحداً ، قوية لا يقوم لها أحد ، ولا يسلم منها أحد إلا من عصم الله عز وجل.

١- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤- ٢٥].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشي ، وَالمَاشي فيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ » متفق عليه(١).

٣- وعن أسامة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ المَدِينَةِ ثُمَّ قَالَ: « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ القَطْرِ » متفق عليه(٢).

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: « لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » متفق عليه (٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٠١) ، ومسلم برقم (٢٨٨٦) ، واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٧٨) ، ومسلم برقم (٢٨٨٥) ، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٧٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٦٦) .

● **ظهور الفتن:**

١ – قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥– ١٥٧].

٢– وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنهُ رَسُولُ الله ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ ، وَيَتقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الهرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لي بِهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ في الْبُنْيَانِ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُل فَيقُولُ يَا لَيْتَني مَكَانَهُ ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ يَعْني آمَنُوا أَجْمَعُونَ ، فَذَلِكَ حِينَ (لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانها خَيْراً)» متفق عليه[1].

٣– وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً فَزِعاً يَقُولُ: « سُبْحَانَ الله مَاذَا أَنزَلَ الله مِنَ الخَزَائِنِ؟وَمَاذَا أُنزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ – يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ– لِكَيْ يُصَلِّينَ ، رُبَّ كَاسِيةٍ في الدُّنْيَا عَارِيَةٍ في الْآخِرَةِ » أخرجه البخاري[2].

● **فقه الفتن :**

للفتن علامات وصفات تُعِين معرفتها على توقِّيها ، والنجاة منها :

الأولى : أنها تتزين للناس في بدايتها لتغريهم بمُلابَستها ، والتورط فيها ، وعَقْد الآمال عليها ، ثم سرعان ما يندم من تورط فيها .

الثانية : أنها إذا وقعت سرعان ما تتطور ، وتخرج عن حد السيطرة ، وتستعصي على من أشعلوها أن يطفئوها ، ويعجز العقلاء عن دفع السفهاء عنها ، فتضطرب بهم ، وتأكل الأخضر واليابس .

الثالثة : أنها تذهب بعقول الناس ، فيموت فيها قلب الإنسان كما يموت بدنه ، ويذهب معها دينه كما تذهب أيامه ، فإذا كان المسلم يرى حلالاً ما كان يراه حراماً ، أو يرى حراماً ما كان

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٢١) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٥٧) .

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (٧٠٦٩) .

يراه حلالاً ، فقد أصابته الفتنة : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور/ ٦٣].

● **بداية الفتن :**

١ – عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِي الله عنها أَنها قَالَت : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرّاً وَجْهُهُ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» – وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً – قِيلَ : أَنَهلِكُ وَفينَا الصَّالحِونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ » متفق عليه (١).

٢ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في شَامِنَا ، وَفي يَمَنِنَا» قَالَ قَالُوا: وَفي نَجْدِنَا ، قَالَ قَالَ : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في شَامِنَا وَفي يَمَنِنَا» قَالَ قَالُوا: وَفي نَجْدِنَا ، قَالَ قَالَ: « هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» أخرجه البخاري (٢).

● **شرارة الفتن :**

مجالس الغيبة والنميمة ، والقيل والقال ، شر المجالس ، إذ فيها تُوْلد الفتن والشرور، وتشتعل نارها رويداً رويداً ، حتى يصعب إطفاؤها ، حتى على الذين أوقدوا شرارتها .

ورب قول يسيل منه دم ، وذكر مساوئ الرجال عون على إراقة دمائهم ، وخراب ديارهم .

وسوء الظن بالمسلم أو تكفيره بغير حق مفتاح استباحة دمه ، والتعدي على حرماته .

١ – قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات/ ١١].

٢ – وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات/ ١٢].

٣– وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » متفق عليه (٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٨٨٠) .

(٢) **أخرجه البخاري** برقم (١٠٣٧) .

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٨) ، ومسلم برقم (٦٤) .